حدود الترجمة في ضوء لسانيات النص

الأستاذ: بلخياطي الحاج لونيس
معهد اللغات والآداب
المركز الجامعي تيسمسيلت

Résumé:

Les limites de la traduction à la lumière de la linguistique textuelle.

La traduction est le passage d'un message dans une langue source vers une langue cible. Par conséquent, elle nous interpelle sur la manière dont –elle- envisage. Le texte littéraire à l'angle de la linguistique textuelle puisque la langue sous l'effet de la traduction cherche l'équivalence aux niveaux: phonologique, grammatical, structural, lexical, et textuel.

Mots Clés: traduction, traductologie, singe, linguistique, langue, interprétation.

مقدمة:

إنّ التّرجمة فعل حضاري يعكس بالضّرورة تلاقحاً ثقافياً بين نمطين من المستويات الفكرية للنشاط الإنساني، ويعكس أيضاً رغبة أكيدة للإستفادة من التجارب الإنسانية، مع مراعاة خصوصية اللغة المنقول إليها النص. من حيث ارتباطاتها بواقع سيرورة الإنسان في العلائق التي يطرحها أو التي تطرح عليه، ليجد لها بديلاً أو مخرجاً، وبالتالي يجعل منها إشكالية بحثه.

تقف حسب حدود معرفتي المتواضعة – حدود الترجمة في ضوء لسانيات النص– في مقدمة القضايا التي تبحث عن حدود العلاقة وجدل الواقعة اللغوية في النص المصدر إلى النص الهدف عربي فرنسي – أو– فرنسي عربي– وفقلسانيات محددة أو وفق ما تمنحه اللسانيات لحدود الترجمة.

إذا كانت اللغة اللغة العربية واللغة الفرنسية– موضوع دراسة البحث، هي الوسيلة الأكثر وجوداً التي تتم بواسطتها عملية الترجمة، والبحث عن العلائق التي

تربط النص كفكرة، وبالتالي البحث عن الأوجه اللسانية التي تحكم النص المترجم – من لغة إلى لغة أخرى– أي من لغة النص المصدر إلى لغة النص الهدف وفق آليات يفرضها النص – بمعنى أن نضع للمدلول الواحد دالاً جديداً.

«إذا كانت الترجمة هي تفسير علامات اللسان بواسطة علامات لسان آخر »[1]. هذا يعني أن غرض الترجمة، هو نقل الرسالة لا الشكل، أي استبدال دال بمدلول آخر مع بقاء المدلول ثابتاً، استنتاجا لذلك، في بحث علاقة الترجمة بلسانيات النص، فإن الأمر يقودنا إلى الحديث عن الكيفية التي تتعامل بها الترجمة مع الخطاب الأدبي المكتوب [النص] من خلال الأدوات اللسانية الممنوحة، على اعتبار أن اللغة هي الأداة في فعل الترجمة التي تنقسم إلى مستويات عدة، المستوى الأدبي – المستوى الصوتي – المستوى الصرفي – المستوى التركيبي وأخيراً المستوى النّصي.

«إن النص باعتباره منتميا إلى جنس أدبي، فهو لا يخلو من سيرورة فعل وحركة، فهو بالتالي يجمع بين نظامين مختلفين، نظام داخلي – أدبي– ونظام خارجي – لغوي–، فالأول يقدم لنا واقعاً محتملاً، بينما الثاني مؤلف من رموز وعلاقات تحيل إلى عوالم أخرى خارجية »[2]. على اعتبار أن النظرية اللسانية تهتم بأنساق اللغة الطبيعية؛ أي تراكيبها المتحققة الممكنة التحقق بمختلف أنشطتها وأسسها المعرفية.

كما يمكن كذلك، أن ننظر إلى الحدود التي تمنحها الترجمة في أدواتها الإجرائية والبنائية مع تعاملها مع النص الهدف في كل لغة، من جهة منطلقها الطبيعي ومنطلقها الصوتي ومنطلقها الصرفي ومنطلقها النحوي. ومن هنا يبدو في نظري؛ أن ارتباط حدود الترجمة وما تمنحه لسانيات النص بكل مستوى من المستويات أمراً ضروريا، بل هو حتمي لإنجاح العملية.

مفاهيم الترجمة:

التحديد اللّغوي:

أكّد ابن منظور صاحب كتاب "لسان العرب" مادّة ترجَمَ – بطريقة نطقها والقياس عليها مقيماً المعنى على التفسير– والترجمان هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة إلى لغة أخرى[3].

أما المصباح المنير لصاحبه "أحمد الفيومي" فجاء فيه، ترجم فلان كلامه إذا بيّنه وأوضحه، وترجم كلام غيره إذا عبّر بلغة غير لغة المتكلم[4].

ومما جاء في معجم الوسيط: ترجم الكلام، بيّنه ووضّحه، ترجم كلام غيره ، وعنه، نَقَلَهُ إلى لغة أخرى[5].

أما مجموعة لاروس الفرنسية– La Rousse–مما جاء فيها:

أن الترجمة: هي نقل اللفظ، أو النص، أو اللغة إلى لغة أخرى مع الحفاظ على المعنى، وقد يعني أيضاً: إعادة كتابة نص في لغته الأصلية بشكل أوضح[6].

تتفق كل هذه التعاريف اللغوية أن الترجمة – هي نقل من لغة إلى لغة أخرى – غالبا ما تكون للبيان والتوضيح.

التحديد الاصطلاحي:

تتفق أغلب التعريفات الاصطلاحية لكلمة – ترجم– على أنها: نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى لغة أخرى، مع المحافظة على مبدأ التكافؤ. ففي معجم مصطلحات الأدب: تعني إعادة كتابة موضوع معين بلغة غير اللغة التي كتب بها أصلاً.

وفي قاموس اللسانيات لـ"دي بوا" Du Bois– تعريف للترجمة على أنها التعبير بلغة أخرى؛ أي اللغة الهدف،كما تقصده لغة أخرى – اللغة المصدر مع الاحتفاظ بالتعادلات والتكافؤات الدلالية والأسلوبية[7].

تحديد مفهوم المترجم:

يعد المترجم كاتب، أي أن عَمَلَهُ صَوْغُ الأفكار في كلمات موجهة إلى قارئ ... والفارق بينه وبين الكاتب الأصيل، هو أن الأفكار التي يصوغها ليست أفكاره بل أفكار سواه. من الغريب أن يكون هذا الفارق مدعاة للحط من شان المترجم في بلادنا، على ما في الكتابة بالعربية من صعوبة تثني الكثير عن محاولاتها[8].

في اعتقادي انّ نقل أفكار الغير، أعسر من التعبير عن آراء المرء الأصلية، «فالكاتب الذي له أفكاره الخاصة، يتمتع بالحرية في تطويع اللغة لتلائم هذه الأفكار، بل تطويع الأفكار لتلائم اللغة»[9].

تأسيسا لما سبق ذكره، يتضح أن هناك اتفاق بين المعنى المعجمي والاصطلاحي – على مصطلح الترجمة– سواء في المفهوم العربي أو المفهوم الفرنسي، في نقل نص ما، من لغة إلى لغة أخرى مع تطابق بين النصين في المستويات التي ذكرناها سابقا.

إن فعل الترجمة كأداة إجرائية، فعل معقد ومركب في العلاقة البينية مع اللسانيات. ذلك أن الترجمة مسألة تتعلق باللغة، واللسانيات تدرس اللغة. وبالتالي تعد من موضوعات اللسانيات وتخضع لقواعدها على اعتبار أهميتها المعرفية لمساهمتها في توطيد علاقتها الأدبية باللسانية.

الترجمة في حدود المستوى الصوتي:

يشكل المستوى الصوتي، المستوى الأدنى في مستويات اللغة، وهي لا تقوم بمفردها بإعطاء دلالته. «وإنما تقدم بوظيفة تمييزية تظهر قيمتها، وفعاليتها في المستوى الأعلى – المستوى الصوتي– التي أخذت من وظيفتها التفريق بين الكلمات والمعاني، وهي وحدة أساسية في علم وظائف الأصوات اللغة الفينولوجيا»[10].

لقد بدأ الاهتمام بالدراسات الصوتية انطلاقا من الشعر، ذلك أن الشعر يقدم على الصوت، على اعتبار أن الظاهرة الصوتية هي ظاهرة إيقاع، فكان أهم أثر للصوتيات في النقد العربي الحديث التي قال عنها اللسانيون: «ما نسميه إيقاعا: هو الإعادة المنظمة داخل السلسلة المنطوقة لإحساسات سمعية متماثلة تكونها مختلف العناصر النغمية »[11]. لذاانصبت الدراسات الصوتية للشعر العربي في جانبين يوفران له الإيقاع هما: الوزن والقافية.

لقد نظر اللسانيون إلى الوزن على أنه مؤثر في تركيب الكلام، لأنه محدّد بنظام معين، بينما القافية على أنها مُوَلِّد صوتي وجعلوا منها منطلق التحليل، لأنها كلمة أخيرة التي تسيطر على الهيكل التركيبي. ومن هنا يمكن للقافية أن تدرس على كافة المستويات اللغوية، وتصبح بذلك دلالة بمفردها[12].

فرضا أننا بصدد ترجمة نص شعري — من اللغة العربية إلى اللغة الفرنسية أو العكس. ذلك أن المستوى الصوتي في اللغة العربية يتكون من ثمانية وعشرون صامتاً صوتياً أما صوائتها فهي ثلاثة: الفتحة، والضمة، والكسرة بينما في الجهة المقابلة للغة الفرنسية على نحو أن صوامتها: **20** صامتاً، أما صوائتها فهي ستة **(06)**: A, E, I, O, U, Y .

من هنا تكمن صعوبة تحقيق التناظر والتعادل والتكافؤ في الترجمة الأدبية. ذلك لما بين اللغتين – العربية والفرنسية– من اختلافات كثيرة في التقاليد الأسلوبية والجمالية. فالصعوبة تكمن في ترجمة النصوص الشعرية الغنائية مثلاً، فنظام الأوزان الشعرية مختلف من أدب لآخر.

من غير الممكن أن يتوصل المترجم إلى حلول كاملة لهذه المسألة. يكفيه أن يذكر بالمفارقات التي حدثت وتحدث عندما يترجم قصائد شعرية. أنها نصوص ليست من التناظر والتعادل الأسلوبي والجمالي لشيء. فهو مطالب في هذه الحالة، أن تحقق تقاربا نسبيا بين الترجمة والأصل.

الترجمة في حدود المستوى الصرفي:

تعد الصرفية الوحدة الأساسية في المستوى الصرفي، كما يرى بعض النقاد. هي «أصغر وحدة في اللغة تحمل دلالة. لارتباط المستوى الصرفي بوجود دال ومدلول »[13]، بمعنى قابليتها للتقسير بعد ترجمتها على أوجه عديدة، وتعد وحدة في مستوى بناء الكلمة لتعلقها بالجانب الشكلي لأنها تأخذ دلالة واحدة لا تتغير مما يمنحها إمكانية تفسيرها على نحو معين.

ولعل ما في خاصيتي «الالتحام والانعزال اللتين تتميز بهما العملية الصرفية لا تجعلانها قادرة على حمل معنى مستقل مباشرة، بل تؤهلانها لهذا عندما تدخل في تركيب الوحدات اللغوية الأكثر تعقيدا أي الكلمة»[14].

لنأخذ مثلاً: الفوارق الموجودة على المستوى الصرفي بين اللغتين العربية والفرنسية، ففي اللغة العربية قسّم العرب القدامى الكلام إلى إسم فعل وحرف – صفة – ضمير – أداة. بينما في اللغة الفرنسية عادة ما تبدأ بفاعل ثم فعل، الظرف– حروف الجر والعطف. مع تقديم وتأخير هذين العنصرين يؤدي إلى إخلال بالمعنى، عكس اللغة العربية التي تشمل على الجملة الإسمية والفعلية والابتداء عادة بالفعل والتقديم والتأخير بين عناصرها لا يؤدي إلى إخلال بالمعنى أثناء عملية الترجمة، وإنما تخرج بالجملة إلى أغراض بلاغية متعددة تدرس على المستوى البلاغي للغة، أما الإسناد، فعادة يكون معنويا ولفظيا، بينما في اللغة الفرنسية يكون كذلك لفظيا أو معنويا لكن باستخدام الأفعال المساعدة être– avoir.

حدود الترجمة على مستوى الكلمة:

تعد الكلمة « أصغر وحدة تحمل معنى، وتتضمن كل كلمة معنىً أساسياً معنىً سياقياً »[15]، فالسياق يحدد المعنى، ويستدعي الإسم في كل حالة مفهوماً مجدداً «فالكلمة تأخذ معناها في السياق والمعنى كما يظهر لنا أثناء الخطاب يتعلق بعلاقات الكلمة مع كلمات المقام»[16].

أما الكلمة بوصفها مفردة فإنها لا تعطي إلا معناها المعجمي الذي أنجز، وأعطى صبغة ثابتة في معاجم اللغة.لنأخذ مثلاً: كلمة ضرب: لها دال ومدلول (تصوُّر) مفهوم على رأي دي سوسير، هذه الدلالة للكلمة هي دلالة معجمية، ولكن تغير السياق سيعطي مدلولا للكلمة مدلولات جديدة على الرغم من بقاء الدال (التّصوّر الصّوتي) كما هو، ضرب الجرس – ضرب الموعد – ضرب الولد، ولا يمكن للمعجم اللغوي أن يحضر مدلولات الدال الواحد في السياقات التي يرد فيها، وذلك لكثرتها وتنوعها من جهة ولقابليتها للتطور من جهة أخرى.

إنّ الكلمة المفردة تخضع للتفسير بحيث «يمكننا استبدال الدال بآخر يحمل المدلول ذاته أمّا الكلمة في السّياق فإنّها تخرج عن دلالتها المعجمية إلى دلالة يفرضها السّياق »، ومن هنا يحدد معنى الكلمة كلّيا [17].نأخذ مثلا على ذلك، كلمة الحلوى وما تحمله من دلالات مختلفة هي في مفهوم القارئ بعد ترجمتها إلى لغة أخرى.

الحلوى تتميز بنكهة خاصة بالنسبة لصانعها مصدر رزق.وتمثل في البيت مصدر ازعاج للأم في غسل ملابس الأطفال، أما في نظر الطفل فهي مصدر متعة ولذة.

ملاحظة: لو وضع القارئ نفسه موضع المترجم لاستحضر كل هذه الدلالات انطلاقا من الرمز اللغوي الواحد.

والواقع أنه كلما تعددت السياقات تعددت المعاني. رغم ذلك تبقى الكلمة واحدة، فهي لا تتحلل إلى كلمات بقدر تعدد السياقات التي يمكن أن يدمج فيها.

حدود الترجمة في مستوى التركيب:

عندما نتحدث عن علم التركيب أثناء عملية الترجمة علينا أن نميز بينه وبين النحو بالمفهوم العربي. فالنحو يهتم بالوظيفة الإعرابية للمفردات والجمل عكس اللغة الفرنسية التي تنعدم فيها. «أما علم التركيب فيهتم بدراسة الدوال في نطاق المحور السياقي الواردة فيه دراسة تعتمد على إبراز الخصائص اللغوية لتلك الدوال»[18] تعد قواسم مشتركة بين اللغتين – العربية والفرنسية– على حد سواء.

إذن فالنحو يهتم بالجانب الإعرابي للتركيب، أما التركيب فيهتم بالجانب الدلالي الذي يفرزه الجانب الإعرابي أثناء انتقال اللغة من النص المصدر إلى النص الهدف.

إن الخطاب الأدبي، هو عمل في اللغة، فهو عبارة عن كلمات تؤلف جملا، وما النص إلا جملة طويلة مركبة. والطريقة التي من خلالها تنظم وحداته اللغوية، هي التي تميزه بوصفه خطابا أدبياً، وإذا افتقد التركيب الدلالة افتقد قيمته.

ولعل أهم أثر اللسانيات هو «تأكيدها على الوحدة اللغوية والفنية إذ أن نواة التحليل التركيبي هي الدلالة، إذ هي الهدف من دراسة الأنساق اللغوية».[19]

حدود الترجمة في إنتاج النص

لقد تحدثنا عن حدود الترجمة في المستويات اللغوية الأربعة محاولين ربطها بالدلالة وإظهار علاقاتها التكاملية في بناء (النص الموضوع) إلى (النص المترجم)، ذلك «أن الوحدات اللغوية تشكل المادة الخام التي تدخل في بناء النص، ليكون بذلك وحدة شاملة ذات سمات وخصائص مستقلة عنه" لاتسام النص بوجود دلالات تامة ومستقلة »[20]وهذا ما يميزه مبدئيا عن وحدات المستويات الأدبية، بما في ذلك الجملة التي تتسم بوجود دلالة تامة.

مكننا بعد ذلك أن ننظر إلى مستويات علاقات النص الهدف التي تحكمه بعد ترجمته (علاقات النص الداخلية –علاقات النص الخارجية) وهي: علاقات تقوم بين المستويات المكونة للنص من الداخل، ومن هنا يكون البحث في دلالات الجزئيات المكونة لهذا النص جزءا أساسيا من عملية ترجمته. على اعتبار أن النص المنجز(النص الهدف) «بنية كلية تؤلفها مجموعة من البنى وفهم النص لكليته ويقتضي بالضرورة فهم مكوناته وجزئياته»[21].

إن المستوى العلائقي الثاني (من حيث داخلي وخارجي) – فهي تدرس علاقة النص الهدف بوصفه ممثلا لمرحلة الأثر الأدبي. «لا يمثل وعي مبدعه، بل يمثل ضروب الوعي المختلفة التي تتصادم في فترة من الفترات »[22].لا شك أن «النص الهدف في علاقته بالنصوص الأخرى يتضمن داخله دوال تؤكد مشابهته لها، ولكنه يتضمن أيضا دوال أخرى تؤكد مخاتلفته لها»[23].

تأسيسا لما سبق ذكره، أن المستويات الأربعة التي مرت بنا مستوى البناء (النص الموضوع أو المصدر في النص الهدف) إلى مستوى العلائق (المستوى الداخلي للنص والمستوى الخارجي للنص) أي عند دراسة علاقة النص بالواقع،

وعند دراسة علاقته بالنصوص الأخرى فإن النص يتحول بكل جزئياته إلى دال يحمل مدلولا، وعند دراسة النص لا بد من أن تنشأ علاقة جدلية في تعامل النص داخليا وخارجيا وبالتالي فإنّ الحدود التي تمنحها الترجمة للنص الهدف وفق لسانيات النص، أي تحويله إلى علاقات كلام، يجعل النص مفتوحا يحقق له الاستمرارية في أوصاله وبعث الحياة وإعطائه القدرة على التجدد والاستمرارية، وهذا في نظري أهم وأقصى ما تمنحه وتقدمه الترجمة للنص.

ولا ندعي أنّنا ألممنا تمام الإلمام بالموضوع المطروق هنا، لكن لا شكّ أنّنا نرجو المساهمة في طرح هذا الانشغال لدى الباحثين وفي تقريب الموضوع، مع طرح قضية حدود الترجمة في ضوء لسانيات النص بواقعية يعايشها الباحث يوميا في جملة المصادر والمراجع.

الهوامش

1 - محمد عوض حمد: فن الترجمة- معهد البحوث والدراسات العربية —مصر- 1969- ص07.

2 -فان ديك- النص والسياق- استقصاء البحث في خطاب الدلالي والتداوي- ترجمة عبد القادر فنيني-إفريقيا الشرق الغرب-2000-ص:09.

3 - ابن المنظور:لسان العرب-ط 1-دار صادر للطباعة والنشر- بيروت- لبنان- 1990 ص229.

4 - أحمد الفيومي:المصباح المنير-بيروت- 1996.

5 - معجم اللغة العربية بالقاهرة-معجم الوسيط-مطابع الارغست- القاهرة ص87.

6- Dictionnaire la rousse. Dictionnairelinguistique.2012.p591

7-J.duboiset autrs. Dictionnaire de linguistique.1973.p430.

8- محمد عناني: فن الترجمة.مكتبة لبنان شروق- الشركة العربية للنشر-لونجمان.ص5.

9- رضوان القضماني : علم اللسان- منشورات دار الكتاب الحديث- بيروت- لبنان- ط 1 سنة 1984-ص96.

10-رضوان القضماني:في بنية النص اللسانية-كلية المعرفة- العدد:406-1997 .ص200.

11-توفيق الزايدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث —الدار العربية للكتاب —ليبياتوس ط1 سنة 1984-ص61.

12-توفيق الزايدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث-ص64.

13-رضوان القضماني:علم اللسان-ص 100.

14-رضوان القضماني: علم اللسان-ص200.

15-بيير جيرو:علم الدلالة —ترجمة منذر عياشي-دار للدراسات والترجمة والنشر.دمشق-ط1-1998-ص56.

16-بيير جيرو: علم الدلالة .منذر العياشي-ص58.

17-توفيق الزايدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث-ص73.

18-توفيق الزايدي: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث-ص77.

19-فهد العكاف:نحو ترجمة تكاملية-دار ملهم للطباعة والنشر-ط1-1995-ص19.

20-فهد العكاف:نحو ترجمة تكاملية-ص20.

21-فهد العكاف:نحو ترجمة تكاملية-ص24.